تصدير

الموريسكيون الجدد

(1609م- 2009م)

قيل وما زال يقال،((التاريخ يعيد نفسه)). لننظر معا هل تستقيم هذه القولة في وضعنا الراهن؟

ما من شك أن الحالة النفسية التي يعيشها الإسرائيليون ني الحاضر (2009) هي نفسها تقريبا الحالة النفسية التي عاشها الإسبان النصارى في الماضي1609م، رغم أن 400 سنة تفصل بين الحالتين:

لقد عاش في شبه الجزيرة الأيبيرية ولمدة ثمانية قرون شعب كان له وجود حضاري قوي، ثم استضعف على مر السنين إلى أن سقطت دولته في نهاية القرن 15/9. وتغير اسمه من أندلسي إلى موريسكي. لكن رغم ضعفه كان مصدر قلق نفسي دائم لحكام إسبانيا. وتفاقم هذا القلق لأن هؤلاء الحكام كانوا ينظرون بخوف شديد إلى من كان وراء هذا الشعب المستضعف. هناك إخوان لهم في العقيدة هم على أهبة لإنجادهم أو على الأقل كانوا يتظاهرون بذلك ويلوحون. ولم تكن القوة العسكرية لتنقصهم. هؤلاء الإخوان هم الأتراك المسلمون في ظل الخلافة العثمانية

القوية، وهكذا أصبح الموريسكيون يمثلون خطرا داخليا وآخر خارجيا على إسبانيا الكاتوليكية، وتأكد هذا الخطر بقيام هذا الشعب المستضعف– تحت تأثير القهر المسلط عليه– من حين إلى آخر بثورات مسلحة ضد الدولة الاسبانية، فكان قرار الطرد من وطنه واقتلاعه من جذوره ورميه خارج اسبانيا. وكان وراء هذا الطرد بالدرجة الأولى رجال الكنيسة الكاتوليكية برؤيتهم الضيقة لمستقبل إسبانيا وتعصبهم الأعمى ضد الموريسكيين. وفي ما عرف في التاريخ بمحاكم التفتيش خير دليل على تصفية دينية ولغوية وحضارية لهذا الشعب المستضعف قبل أن يتم طرده نهائيا من اسبانيا بعد أن باءت بالفشل كل المحاولات لتدجينه وتنصيره.

هذا في الماضي، أما في الحاضر، فهناك شعب مستضعف آخر، وهناك دولة أخرى قوية، لكن تعيش في قلق مستمر من تواجد هذا الشعب بين ظهرانيها. وتفاقم هذا القلق بعد أن قامت دولة إسلامية في المنطقة بمحاولة الأخذ بأسباب التقدم والرقي، لأن إمكانية نجدة المسلم القوي لأخيه المستضعف في محنته أمر ممكن. ولم يخفف ما تملكه هذه الدولة من قوة في ترسانتها النووية، وما يملكه حليفها الغربي من نفوذ وسيطرة (في وعلى) المحافل الدولية، من هذا القلق، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الدولة لا تثق في أحد، وحق لها ذلك لأن هذا الغرب، وما بالعهد من قدم، نصب لأبنائها محرقة وأباد الآلاف منهم، وليخفف هذا الغرب من عذاب ضميره أهداهم فلسطين في طبق من ذهب، فكفر عن جريمته المخزية بجريمة أخرى لا تقل خزيا وعاراً عن سابقتها. وكان قرار طرد الموريسكيين الجدد من أعلى منبر في إحدى جامعات هذه الدولة على

لسان زعيم خطر منها لا يختلف في إيديولوجيته عن رجال محاكم التفتيش سابقا، ولا يقل عنهم حقدا على المريسكيين الجدد. نعم جاء قرار الطرد على لسان هذا الزعيم، بفصوله الثلاثة:

الفصل الأول: الإقرار بيهودية الدولة وهو إيذان بطرد الموريسكيين الجدد من دولة شعب الله المختار.

الفصل الثاني: الإقرار بحق توسيع المستوطنات لأبناء إسحاق- وهم غرباء- ومد الطرق إليها وإقامة الحدائق فيها، والمصادقة على هدم منازل أبناء إسماعيل- وهم أصحاب الأرض- وتخريب مزارعهم وقلع أشجارهم بالمستوطنات وبالجدار العازل. وهما توطئة لطرد الموريسكيين الجدد من الضفة.

الفصل الثالث: الإقرار بأن القدس عاصمة موحدة بقسميها الغربي والشرقي لدولة واحدة، وهو تمهيد لمعاملة الموريسكيين الجدد بشرقي هذه المدينة بنفس معاملة إخوانهم داخل الخط الأخضر وفي الضفة، أي الطرد المتدرج والمستمر.

والنتيجة المنطقية لقرار الطرد هذا هو إتمام إخراج من بقي من الموريسكيين الجدد في الداخل. ولا يمكن أن يخطر ببال أصحاب هذا المنطق إدخال من كان منهم مشتتا بالخارج، لذا فحل مشكلتهم يجب أن يتم خارج دولة شعب الله المختار، كما أصر على ذلك عطاء الله (بالعبرية نتانياهو).

وهكذا يتضح جليا أن منطق المبادرة الإسرائيلية اليمينية وما فيها من جور وتعجيز، ومنطق المبادرة العربية وما فيها من عدل وتسهيل، يسيران في خطين متوازيين. وقديما قيل في العلوم الرياضية: الخطان المتوازيان لا يلتقيان...إلا في اللاناهية أي يوم القيامة. وأخوف ما يخافه عقلاء القوم من الطرفين أن تكون بداية القيامة من القدس الموحدة.

إن القدس القديمة هي خلية طبيعية في محيطها وستصبح خلية سرطانية إذا انتزعت وغرست في جسم آخر غريبا عنها سترفضه ويرفضها. لقد انبثق منها نور الحقيقة الأبدي، وفيها- وبفعل التعصب والأنانية والجشع- سينطفئ هذا النور ويعم الظلام الدامس كامل الأرجاء. فيا للهول! ويا للويل!. لقد آن للمسيح المنقذ أن ينزل ليطيح بعرش من اتخذ من أساطير الماضي وألاعيب السياسة سفنا للإبحار في دماء الأبرياء. ومن أشلاء الأطفال والشيوخ والنساء أكاليل غار يزين بها رؤوسا ملئت حقدا جارفا، وإيمانا مزيفا، وتعصبا مقيتا.

د. جمعة شيخة

مدير المجلة